

عائلة آل برقة في قرطاجة

بين دعم مساعي الحرب ودعاة السلم

أ_ كريمة نور الدين

جامعة الجزائر 2

عرفت قرطاجة في مختلف مراحلها عدة عائلات لعبت دورا حاسما في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها من بين تلك العائلات: عائلة آل ماقون عُرفت بانتصارها في كورسيكا وسيردينيا، التي اشتهر منها عالم الفلاحة (ماقون) وعائلة آل حنون التي عرفنا منها حنون الكبير غريم آل برقة، هذه الأخيرة التي أنجبت فضلا عن هاميلكار برقة مؤسس الأسرة حنبعل الذي حملت الحرب البونيقية الثانية (218-202 قم)، اسمه حرب حنبعل، باعتباره محور هذه الحرب (بوليبوس، II، 1، 1).

معاصرة العائلتين الأخيرتين آل برقة، وآل حنون وتناقض مصالحها مع الحرب أو ضدها، باعتبار العائلة الأولى مالت إلى الشعب بينما كانت الثانية تمثل مصالح الارستقراطية التجارية في قرطاجة، مما دفعنا إلى محاولة التعرف على آل برقة ودورها في دعم أسس الحرب من ناحية والصراع مع آل حنون الممثلين للأوليغارشية التجارية التي أنهكتها الحرب.

وإن كنا ندرك منذ البداية أنه ليس من اليسير أن نحاول دراسة عائلة في قرطاجة وذلك لعدة اعتبارات يمكن اختصارها في انعدام سلسلة أنساب، فإذا كان سيلبيوس إيتاليكوس (Italicus (S.), 1836, L.I.V.)، يعود بهذه العائلة إلى بيلوس (BELUS) مرافق وقريب علية مؤسسة قرطاجة، حسب الرواية التي رواها لنا يوستينوس (Justin, 1833, XVIII, 4)، لكن رواية سيلبيوس هذه لا يمكننا فصلها عن خيال شاعر، وهي طريقة معروفة حتى عند الليبيين القدامى الذين نجد ضمنهم يوبا الثاني الذي يصعد بنسبه إلى هرقل، ويجعل انحداره من إحدى الليبيات وهي تتجني (tingé) أرملة أنطى (antée) التي شرفها هرقل الاله بوصالة بعد موت زوجها (Plutarque, 1951).

هذا الاعتبار الأول، أما الاعتبار الثاني فهو فُقر قاموس الأسماء عند القرطاجين وارتباطها بالدين (Vanoyeke (V.), 1955, p.50) فضلا عن عدم وجود أسماء عائلية مثلما هو موجود عندنا الآن، بحيث أن الشخص يحمل اسمه الشخصي ثم الاسم العائلي الذي يتوارثه كل المنحدرين من نفس العائلة، وهو أمر كان شائعا أيضا عند الرومان، بإضافة اسم الأب بين الاسم الشخصي والاسم العائلي، مما يسهل تتبع سلسلة النسب، خلافا للبولنيين الذين يكتفون باسم الشخص مع إضافة ابن فلان، وكذا محدودية الأسماء وسريان عادة حمل "الأحفاد" أسماء "الأجداد"، فنجد أنفسنا أحيانا أمام أربعة أو خمسة أسماء من نفس الجيل دون أية قرابة أو رابطة "دم"، وهكذا إذا أخذنا عصر حنبعل البرقي الذي تعرفه أكثر، نجد على الأقل أربعة أشخاص يحملون اسم "أصدروبعل"، أحدهما شقيقه الأصغر الذي قتل في معركة ميتور سنة 207 ق-م، والآخر زوج أخته المتوفي بدوره سنة 221 ق.م، وخلفه حنبعل في قيادة الجيش باسبانيا، والآخرون بعيدان عن العائلة (Picard (G. Ch.), 1961, PP.51-52).

وإن أخذنا مثلا هاميلكار (رأس العائلة) وحنبعل (أحد أشهر أبنائها)، نجد أن أسماء هاميلكار وحنبعل عديدة في تاريخ قرطاجة، إذ نجد العديد من القادة والأميرالات والأشفاط، يحملون هذين الاسمين في السنوات وبل القرون السابقة للحرب البونيقية الثانية، وهو شأن أسماء ماقون، أصدروبعل، من عائلة هاميلكار وحنبعل، لكن لا شيء يسمح لنا بإثبات روابط الانتساب والقرابة، ولا شك أن هذا لا يسهل مهمتنا في البحث عن أصول أية عائلة في قرطاجة، حتى لو كانت عائلة شهيرة مثل عائلة آل برقة.

وحتى نمكن القارئ من تتبع البحث دون التيه في هذه الأسماء قدر الإمكان والتمييز بين الأسماء المتجانسة (المتشابهة)، لا يسعون إلا اللجوء مثلما فعل بعض الباحثين (Audision (G.), 1961) إلى الكنى أو أية صفة شخصية للشخص، وهكذا نقول: أصدروبعل-الجميل، أصدروبعل-جيسكون، فكل هذه الأسماء كانت ذائعة في قرطاجة، بشكل ذبوع أسماء محمد وأحمد عندنا، مع فاروق استخدمنا للأسماء العائلية (اللقب)، خلافا للقرطاجيين الذين يستخدمون لفظ "ابن" هذا الأمر، دفع الراغبين في دراسة أصول هذه العائلة، اللجوء إلى الحدس والتخمين وحتى الافتراض ونحن على دراية أن الفرضيات تحمل نقاط ضعف كثيرة، قد تتسبب في اهتزاز البحث وإبعاده عن الحقيقة، وهو ما يجعلنا نحاول تجنب اللجوء إلى الافتراض إلا عند الضرورة القصوى، في غياب مطلق لأية إشارة في المصادر التاريخية.

بدأ اهتمام المؤرخين والكتاب الإغريق واللاتين بقرطاجة والقرطاجيين بداية من بداية الصدام بين روما وقرطاجة وخاصة مع ظهور حنبعل في الحرب التي أطلقوا عليها تعسا الحرب البونيقية الثانية، التي

تفطن البعض إلى دور حنبعل الحاسم فيها، فأطلق عليها حرب حنبعل (Plybius, 1970, III. I. I) ونظرا لهذا الدور، سُلِطت الأضواء عليه، فحاول البعض الغوص في جذوره وعندما اصطدموا بالواقع الصعب لجئوا إلى طرق تسمح لنا برؤية أوضح، إذا لجئوا في هذه الفترة إلى إعطاء "كُنِيَّات" لشخصيات كبيرة، وهكذا أصبح هاميلكار والد حنبعل يُعرف "بهاميلكار برقة"، وأصبح بذلك حنبعل برقي، وتميز صهره أصدروبعل عن يحمل هذا الاسم باعتباره هو الآخر برقي، فأصبحت كل العائلة، وأنصارها وحمايتها يشكلون حزب أو عَصْبَة "آل برقة" (Audision (G.), 1961, P.53).

أصل التسمية:

إذا كان سيليوس إيتاليكوس لم يتردد في اعتبار آل برقة من المهاجرين الأوائل مع عليسة (سيليكوس إيتاليكوس، I، 5)، ولم يتردد آخرون في اعتبار هذه العائلة من العائلات العريقة والكبرى في قرطاجة، فإن آخرين رأوا إعطاء الأسماء تفسيرا ايتيمولوجيا باشتقاقه من كلمة "البرق" أو الصاعقة السامية، والاسم في هذه الحالة له عدة دلالات لما يحمله من معاني السرعة في التنفيذ، جعلت المهتمين بسير "آل برقة" يهتمون بمعاني هذه الكلمة التي تحمل أيضا معنى العبقورية في الحرب، وإذا كنا لا نستبعد هذه الكُنِيَّات المعتاد اشتقاقها من صفات أصحابها وبذلك يكون حنبعل في حربه قد نزل كالصاعقة على إيطاليا، فإن والده أيضا في تحصنه في جبل إريكس نزل كالبرق (ول ديورانت، 1995، ص. 97)، على القوات الرومانية الغازية لصقلية، مما يجعل هذا الاشتقاق ممكنا، لكن اشتقاق هذا الاسم من "البركة" والتبرك وإن كان في التسمية الورع الذي تحمله معظم الأسماء البونيقية وفيه أيضا معنى السرعة "أبتركوا في العدو: جدوا وأسرعوا"، فإننا نستبعد هذا الاشتقاق للفرق بين البرق والبركة في عملية النسب.

إذا كنا نقبل بإمكانية اشتقاق هذه الكنية من البرق، فإننا لا نجد إشارة، أو حدث ما يسمح لنا بافتراض أن هذه الكُنِيَّة أُطلقت على هاميلكار لصفة معينة فيه.

آخر الفرضيات التي تقدمها من فرضيات أخرى كثيرة لا نملك سند دعمها، عي ما يفترضه بعض الكتاب من كون أصول "آل برقة"، من إقليم برقة في ليبيا الحالية (Picard (G. Ch.), 1961, P.1).

هكذا نلاحظ أن صعوبة البحث لا تقتصر فقط بصعوبة البحث في أصول هذه العائلة، وإنما حتى في أصل اشتقاق الكلمة، خاصة مع غياب أي نص تاريخي يمكن الاعتماد عليه للحسم في الموضوع، ويبقى

التخمين والفرضيات هي السائدة حتى في أصل إحدى العائلات التي لعبت دورا رائدا وحتى حاسما في الصراع الناشب بين أكبر القوى في ذلك العصر قرطاجة وروما.

إذا كان من الصعب كما رأينا إصدار أحكام نهائية حول أصول هذه العائلة أو حتى اشتقاق التسمية، فخلافاً لذلك عرفنا بعض شخصيات هذه العائلات سواء بفضل الدور الذي لعبته في الصراع مع روما أو التنافس على الحكم في قرطاجة مع "آل حنون"، هذه العائلة التي تمثل مصالح الأرستقراطية في قرطاجة، خلافاً للخصوم "آل برقة"، الذين استندوا على العامة، من بين تلك الشخصيات، يمكن الإشارة إلى هاميلكار الجد الأول للعائلة الذي يفترض ميلاده حوالي 272 ق-م هذا إذا افترضنا ذهابه إلى صقلية لقيادة القوات القرطاجية، وهو في السن السادسة والعشرين، إذ يذكر كورنيليوس أنه كان شابا حينذاك (C.), Nepos (XXII, 1) بينما يفترض آخرون ميلاده ما بين 280-275 ق.م.

ظهر هاميلكار خلال السنوات الستة المتتالية التي قضاها في صقلية بناء على المؤرخين المعاصرين كرجل حرب، كبير القائد المنتصر على كل الرومان، على رأي كورنيليوس نيبوس (C.), Nepos (XXII, 1)، حيث واجههم وهو متخندق في موضع حصين على جبل إريكس قرب داراني حاليا، وأنهك أعداءه بنزوله القاتل، وغاراته، المربعة (S.), Gsell (1913, PP. 96-97)، لكن أكثر من ذلك دراسته للإستراتيجية العسكرية الأكثر حداثة في عصره، فقام بثورة حقيقة في الإستراتيجية العسكرية، وأبدع مناهج ستعطي لاحقا القوات الخارقة لخليفته حنبعل (G.), Audision (1961, p.57).

بعد دخول هاميلكار إلى قرطاجة بعد الهزيمة في معركة إيغاتس، يعود له الفضل في قهر ثورة المرتزقة التي كانت شوكة في حلق قرطاجة المهزومة، فزاد هذا الانتصار من شعبية عائلة آل برقة، التي ارتكزت من الآن على الشعب (V.), Vanoyeke (1955, P. 47).

هكذا ستكون الموافق من نتائج التي آلت إليها الحرب البونيقية الأولى من ناحية ورؤى المستقبل سببا في احتدام الصراع بين سياستين متعارضتين، فالشعب يمثل آل برقة يميلون إلى التوسع والحرب يريدون الانتقام، وللوصول إلى ذلك كانت نظرتهم بعيدة، كانت إلى إسبانيا البعيدة أولا عن أنظار روما والغنية بالثروات، بهدف تعويض ما فقده في صقلية وسردينيا وكورسيكا (حارش (م.)، 1995، ص. 62).

كانت سياسة آل برقة ترمي إلى إعادة بناء قوة قرطاجة التي فقدت السيطرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فقدت أسطولها وهي دولة بحرية، ولجان المراقبة الرومانية لن تسمح لها بإعادة بناء هذا الأسطول، من هنا توجهت أنظار آل برقة نحو اسبانيا.

فكر هاميلكار في اسبانيا، لما تقدمه من مزايا اقتصادية يُمكنها تمويل مختلف قطاعات الاقتصاد البونيقي بما تتوفر عليه من ثروات معدنية "مناجم الفضة" في سيرامورينا، و ثروات نباتية وحيوانية، يمكنها أن تساهم في النهوض بالأسواق القرطاجية، إلى جانب تلك الثروات يمكن لبعث اسبانيا أن يجعل القائد بعيدا عن مؤامرات ودسائس الأوليغارشية في قرطاجة، إذ كان التجار ورجال المال يناورون لإخماد الروح العسكرية، ومحاولة توجيه الأنظار إلى الأقطار الإفريقية، وترك المجال مفتوحا أمام روما، في الحوض الغربي للبحر المتوسط، تجنباً للصدام مع روما ثانية، وما يترتب عن ذلك من ركود تجاري وبالتالي خسائر، وهو ما يجعلنا نميل إلى اعتبار موافقة آل حنون على غزو اسبانيا أن الهدف منه لا تأييداً لسياسة آل برقة، بقدر ما يعد طعماً في الاستفادة من الاستثمار في مواردها المنجمية من ناحية وإبعاد آل برقة عن قرطاجة، وبـل عن روما حتى لا يثيروا شكوكها، بمشاريعهم الحربية وفي ذلك عرقلة لمصالح آل حنون الاقتصادية (مصروعة ج. 1959، ص. 169).

مقابل هذه السياسة، نجد آل حنون الذين يمثلون الاستقرائية التجارية القرطاجية، يميلون إلى السلم مقتنعون بالوضع الراهن، يكتفون بتوسيع أراضيهم في إفريقيا وذلك باقتطاع ضيع في المناطق الريفية الغنية، حيث وجدوا مصدر ثراء مؤكد يعوض الأرباح المحتملة للعمليات التجارية في صقلية (مصروعة ج. 1959، ص. 169) أما موقفهم من روما فكانوا مع التفاوض ومع التسوية السلمية (Warmington (G.H), 1961).

كان الرومان بدورهم قد استغلوا الوضع الصعب الذي عاشته قرطاجة على إثر الأحداث التي أعقبت هزيمة ايغاتس وعقد معاهدة كاتالوم 241 ق.م (شنيتي (م.)، 1977، ص. 119-219)؛ (عقون (ع.)، 1994، ص. 119-219).

التي فرضت على قرطاجة شروط قاسية جعلها تعجز عن دفع أجور الجند المأجور (حارش (م.)، 1995، ص. 76).

فثار الأخيرين على قرطاجة في إفريقيا وفي سردينيا، جعل روما تتدخل لتفرض على قرطاجة معاهدة ثانية سنة 238 ق.م التي تنازلت بموجبها عن سردينيا وكورسيكا، بعد أن تنازلت في المعاهدة الأولى عن صقلية والجزر الواقعة بينها وبين إيطاليا (مصروعة (ج.)، 1959، ص. 181).

هذا الموقف من روما الذي يهدف إلى الحد من شعبية هاميلكار، أدى في الواقع إلى نتائج عكسية للنتائج التي كانت روما تسعى إليها، وهي توجيه ضربة لشعبية هاميلكار وكسر شوكة عُصْبته، وساهمت بالعكس في دعمها، وجعلت بطموح المرسوم ممكنا، إذ فجر الظلم الصاروخ روح الاعتزاز الوطني لدى البونيقين، واقتنعوا باستحالة أي اتفاق دائم مع روما، وفي ذلك دعم لموقف آل برقة، على موقف التخاذل والتراجع الذي يمثلته آل حنون (Nepos (C.), XXII, 1).

استفاد هاميلكار للحصول على هذه النتائج من دعم هام من أصدروبعل، شاب غني من الارستقراطية، أنيق ورشيق بناء على ما تصفه الكتابات المعاصرة، جذاب لدرجة أنه لقب بأصدروبعل الجميل، فكانت لهذا الأرستقراطي بدوره ميول للشعب، في الوقت الذي احتفظ فيه بالدعم في الأوساط المالية بفضل بعض التجمعات السرية لأصحاب المصالح المالية التي يطلق عليها آنذاك الأخويات ونسُميها اليوم "اللوبيات".

إذا كان هاميلكار برقة وأصدروبعل الجميل شريكين وطيدين، ولدعم تلك العلاقة، لجأ هاميلكار إلى تزويجه بابنته، الذي جعل كورنيليوس نيبوس يقول: مثل هذا الرجل الكبير، لا ينقصه الافتراء في إشارة منه إلى دهاء الرجل، في محاولته تمتين أوامر الصداقة التي ربطته بهذا الرجل (Nepos (C.), XXII, III).

إلى جانب هاميلكار برقة وأصدروبعل الجميل، يمكننا الإشارة إلى حنبعل حتى يكتمل تشكل العائلة البرقية التي يكون هذا الأخير حلقاتها الأساسية إلى جانب شقيقه أصدروبعل الصغير وماقون.

خرج هؤلاء الخمسة سنة 237 ق.م في الطريق إلى إسبانيا، في الغالب عبر البر، بسبب تخلي قرطاجة عن أسطولها البحري، وبالتالي نقص السفن فضلا عن عدم ضمان الاتصالات البحرية (Audisio (G.), 1961, p.59).

يبدو من مصادرنا أن آل حنون، رغم ميلهم إلى إبعاد آل برقة، فإن الموافقة على ذلك لم يتم دون معارضة الفكرة، إذ يذكر أبيانوس: "أن آل حنون ثاروا بقوة، وقاموا بمقضاة حتى العديد من الأعضاء

المؤثرين في عُصبة آل برقة"، لكن مع ذلك يبدو أن أغلبية الشعب والشيوخ ساندوا آل برقة في شروعاتهم في إسبانيا.

في إسبانيا عمل هاميلكار بمساعدة صهره خلال تسع سنوات (237-229 ق.م) على فتح كامل جنوب إسبانيا وعلى إثر وفاته خلفه صهره أصدروبيل الجميل على رأس الإدارة العامة لإسبانيا القرطاجية بقيادة الجيش بدوره لمدة تسع سنوات (229-221 ق.م) وزاد في المد الأسباني، مستغلا الثروات الجديدة ومناجم سيرامورينا للفضة، وأنشأ مدينة جديدة ستكون العاصمة الحقيقية هي مدينة "قرطاجنة" وبعد وفاته خلفه حنبعل (Nepos (C.), XXII, III).

هكذا نلاحظ أن اختيار إسبانيا كان يستجيب لاحتياجات هاميلكار، فضلا عن الثروات الطبيعية والمنجمية والكثافة السكانية، فهو بلد بعيد عن إيطاليا وبالتالي لا يثير قلق مجلس الشيوخ مما يجري فيها من أحداث، فهاميلكار يريد صرف نظر روما حتى لا تتدخل وتعرقل أعماله، وهي في بدايتها (بوليبوس، I، 6، 64)؛ (Guilia (M.), 2007, P.51) ؛ (غانم (م.)، 2003، ص. 241).

إذا كان الاختيار يستجيب لاحتياجات هاميلكار، فإن ذلك تم عن معرفة ودراية، إذ تردد الفينيقيون على إسبانيا منذ أواخر القرن الثاني عشر، فالآثار والنصوص تشير إلى تعامل الفينيقيين مع مملكة ترشيش منذ القرن التاسع على الأقل حتى قبل تأسيس قرطاجة، كما تم إقامة عدة محطات فينيقية على سواحل شبه الجزيرة، أهمها وأشهرها محطة قادس (Tarredell (M.), 1960, pp. 197-298) التي كانت تربطها علاقات وطيدة مع قرطاجة، هذه الأخيرة كانت لا شك تقدر لها يد العون لمواجهة السكان الأصليين وضد الإغريق خاصة بعد تأسيس ماتسالوم (مارسسيليا) والرغبة في الاستفادة من خيارات إسبانيا بدورها (Picard (G. Ch.), 1961, P. 80).

كان آل برقة يحتفي بهم ويختارون قادة من طرف قواتهم في إسبانيا، ثم يثبتون في مناصبهم من طرف حكومة قرطاجة، وكان كل واحد من هؤلاء الثلاثة يتمتع بالسلطات المدنية والعسكرية في آن واحد، وهكذا مصير قرطاجة أحيانا بين أيديهم (Audision (G.), 1961, P.60).

هذا كل كما استطعنا جمعه من شذرات الكتاب حول واحدة من أكبر عائلات قرطاجة التي مهما أجدف الكتاب في حقها، فهي بقيت خالدة في صفحات التاريخ بفضل الدور الذي لعبه أبناؤها سواء مؤسس العائلة هاميلكار برقة، أو خليفته الثاني حنبعل الذي أبهر عالم عصره، وجعل الكتاب المحدثون لا يتخلفون

عن تقديم ولو عمل واحد سنويا عن بطولاته في مختلف لغات العالم، مما جعله واحدا من كبار القادة العسكريين الذين أنجبتهم الإنسانية.

وفي ختام هذه الدراسة، وبعد دراسة مختلف جوانب الموضوع والغوص في تفاصيله، يمكننا التأكيد على النتائج التالية.

(1) أنَّ هاميلكار هو رأس العائلة رغم ما ذكره سيلْيوس إيطاليكوس من انتساب العائلة إلى بيلوس مرافق وقريب علية مؤسسة قرطاجة، إذ لا يمكننا الاستدلال على ذلك مما لا يمكننا فصل رواية سيلْيوس عن خيال شاعر. أمّا هاميلكار فتأبّت معه بداية تاريخ هذه الأسرة.

(2) صعوبة دراسة التاريخ العائلي في قرطاجة وحتى لو كانت هذه العائلة هي عائلة "برقة" التي أنجبت شخصيات كان لها وزنها ودورها في التاريخ أمثال "هاميلكار" قاهر المرتزقة، وأصدروبعل مؤسس "قرطاجة" وحنبل "روح الحرب البونيقية الثانية" وذلك لعدّة أسباب:

أ - إنعدام سلسلة أنساب عند القرطاجيين، ممّا فصح المجال للروائيين الذين يعودون دائما في سلسلة الأنساب إلى جد أسطوري.

ب - فُقر قاموس الأسماء عند القرطاجيين، وارتباطها بالدين، فضلا عن عدم وجود أسماء عائلية (ألقاب) التي يتوارثها كلّ المنحدرين من نفس العائلة، وهذا عائق كبير.

ت - مع محدودية الأسماء، هناك أيضا عادة حمل "الأحفاد" لأسماء "الأجداد"، فنجد أنفسنا أمام أربعة أو خمسة أسماء من نفس الجيل دون أية قرابة.

(3) نبوغ "هاميلكار" وبروز عبقريته العسكرية في فترة "مبكرة"، إذا أخذنا بما يقول به بعض المؤرخين الذين يرون دعوة هاميلكار من صقلية للتصدي لثورة الليبيين على إثر حملة روغولس (Marcus Atilius) سنة 255 ق.م، فإنّ دعوته للعودة والتصدي لليبيين الثائرين، دليل على مكانته العسكرية في هذه الفترة المبكرة.

(4) انضباط مؤسس هذه العائلة "عسكريا"، فرغم عدم رضاه عن النتائج التي آلت إليها الحرب البونيقية بعد معركة "إيغاتس" التي لم تمس الروح القتالية للقوّات القرطاجية ولم تؤثر على مواقعها في صقلية ولم تنل من قوتها الأساسية فيها، لكنه أذعن لأوامر قرطاجة التي أسندت له مهمة التفاوض مع الرومان.

(5) إسناد مهمة "التفاوض" لهاميلكار كانت عملية مدروسة، حتى تضعه قرطاجة "درعا" أمام المواطنين "المتصلبين" الراضين للنتائج التي آلت إليها "الحرب".

(6) نلاحظ أنّ "التجار" المسيطرين في قرطاجة قد أضنتهم الحرب فعلا، وإلا كيف نفسر مواصلتهم الحرب بعد "نكبة ميليس" سنة 254 وهزيمة تداريس سنة 251، وتخور "قواهم" الآن، وقواتهم في صقلية مستعدة لمواصلة الحرب؟

(7) إذا كان البعض يشير إلى رغبة-هاميلكار من الآن في الانتقام من "روما" التي أذلت "قرطاجة" لا بشروط السلم القاسية فحسب، بل أيضا باحتلال سيردينيا وكورسيكا، لكن لا شك أنه كان يعلم أن "الثأر" لا يتم إلا بتحضير الوسائل السياسية والاقتصادية وكذا العسكرية، وهكذا رأى في المهمة "الدبلوماسية" التي أسندت إليه بمثابة تحضير وإعداد للعمل المقرر القيام به مستقبلا.

(8) بتفويض أمر المفاوضات لقائد "عسكري" يكون الشيوخ البونيقيون، قد تنازلوا على "مبدأ" فصل السلطات السياسية والعسكرية، الذي فرضوه كقاعدة أساسية، وهذا ما يدل على أنهم كانوا يريدون التخلص من الحرب التي أنهكت مواردهم بأية طريقة، دون النظر إلى المصلحة العليا للوطن.

(9) "استقالة" هاميلكار وتنازله عن سلطاته بعد عقد المعاهدة، يدعو إلى الاعتقاد أن سوء تفاهم قد وقع بين هاميلكار وجنوده الراغبين في مواصلة القتال، من جهة وهاميلكار ومجلس الشيوخ القرطاجي من جهة أخرى. بينما يفسر آخرون هذا الانسحاب-المؤقت- بتوقع هاميلكار وقوع نزاع بين حكومة قرطاجة وجنوده القدامى بمجرد إنتهاء الحرب.

(10) دخلت قرطاجة الحرب في صقلية للدفاع عن بعض المواقع التي كانت تشكل جزءا من التدابير المعقدة التي تضمن هيمنتها في الحوض الغربي للمتوسط ولم تكن صقلية تلعب دورا أساسيا مثل إفريقيا وسيردينيا، وهو ما يُستشف من المعاهدات السابقة حيث لم تشترط قرطاجة أية رقابة على العلاقات التجارية بين روما وصقلية خلافا لإفريقيا وسيردينيا التي كانت ترى فيها مناطق النفوذ الحقيقية.

(11) كانت روما تسعى وراء تدخلها في سيردينيا سنة 238 ق.م إلى حد من شعبية هاميلكار المتزايدة، لكن ذلك أدى إلى نتائج عكسية للنتائج التي كانت تسعى إليها، وساهمت في دعمها، وجعلت طموح آل برقة "المرسوم" ممكنا، إذ فجر الظلم الصارخ روح الاعتزاز الوطني واقتنعوا باستحالة أي اتفاق دائم مع روما، وفي ذلك دعم لموقف آل برقة.

(12) كانت قرطاجة تريد باحتلال اسبانيا التعويض عن خسائرها في الحرب البونيقية الأولى، لكن نجاحات هاميلكار وأصدروبعل سيجعلها لاحقا تتصور وتفكر في العودة إلى مؤسساتها القديمة ووضع جانباً المعاهدة المذلة التي فرضتها عليها روما.

(13) بعد السيطرة على إسبانيا ومناجم الفضة فيها أصبحت مداخل قرطاجة على عهد "حنبل" أزيد من 300 تالنتة سنويا من منجم واحد وهو ما يفسر لنا أولاً إعادة بناء اقتصاد قرطاجة من جديد بعد الحرب الأولى وكذا تمكن قرطاجة من دفع كل ديونها (تعويضات الحرب) المترتبة عن الحرب الأولى في أقل من عقد من الزمن.

(14) كان تأسيس مدينة "قرطاجة" من طرف أصدروبعل نقلة جديدة في السياسة البرقية في إسبانيا حيث بايعة أعيان إسبانيا، وهو ما أثار مخاوف الفوسيين في مرسيليا الذين استنجدوا بروما التي فرضت معاهدة "الإيبرو" سنة 226 ق.م على أصدروبعل، التي تطلق يد القرطاجيين إلى الجنوب من هذا النهر.

(15) يقدم المؤرخون القدامى "حنبل" كشخص مستعد لتدمير "روما" ويعزي إليه وحده سبب الحرب البونيقية الثانية وكوارثها، وهنا تدخل مسألة "مسؤولية الحرب" التي تعود الرومان على تقديمها بهدف تبرير دور روما، فمدينة "صاغنتوم" التي كان احتلالها السبب المباشر "للحرب الثانية" واقعة إلى الجنوب من "الإيبرو"، ولا ندري لأية فترة تعود العلاقات بين "صاغنتوم" وروما، إن كانت تعود لما قبل "معاهدة الإيبرو"، أم بعدها؟

إذا كانت تعود إلى ما قبل المعاهدة، معناه أن ذلك "الوفاق" يلغي بتطبيق المعاهدة، ما دامت الأخيرة لا تنص على استثناء "صاغنتوم" وإن تم عقد هذه "الصدافة والوفاق" بعد تلك المعاهدة أيضا، يعد ذلك تحريضا واضحا من روما ضد قرطاجة، وهو ما لا يبعد المسؤولية عن روما مهما كانت المبررات التي تقدمها، لأن قوة قرطاجة لا تخدم مصالح روما.

(16) نتساءل أيضا إن كان حنبعل يرمي فعلا إلى تدمير "روما" كما تصوره مصادرها، إذا كانت الإجابة على هذا التساؤل ليست من السهولة، لكن نجد في المعاهدة التي عقدت بين حنبعل وفليب المقدوني أن بقاء "روما" في حالة النصر النهائي لقرطاجة كان مترقبا، وهذا ما يدعونا إلى البحث عن أهداف حنبعل من الحرب في هذه الفترة، كما لاحظنا أيضا لاحقا أن الانتصار في زاما لم يؤدي إلى تدمير قرطاجة، رغم أن البعض كان يدفع سكيبيو إلى ذلك، لكن ذلك كان يتطلب جهدا معتبرا، وكان سكيبيو يدرك أن

روما كانت في حاجة كبيرة إلى "السلم" فكانت نظرتة لا تتطلب تدمير قرطاجة بقدر ما تتطلب تبعيتها
"لروما" وهو ما سعى لتحقيقه بمعاهدة الصلح لسنة 201 ق.م، التي يرى البعض أنّها وراء المصير الذي
آلت إليه قرطاجة سنة 146 ق.م.

(17) يمكننا أن نقول أن انتصار روما يكمن في مواردها، عدد القوات التي يسمح لها بتحمل خسائر
ثقيلة 300.000 مقاتل من إيطاليا وحدها، وأيضا تجهيز أسطول قادر على الاحتفاظ بالتفوق في البحر
مع السماح بنقل القوات إلى مختلف مسارح العمليات، كما كان القرار التي اتخذها الرومان بمواصلة الحرب
في إسبانيا حتى بعد هزيمة معركة كانت سنة 216، مثير الإعجاب، لأن هذا القرار لا يمنع فقط قرطاجية
من الحصول على الدعم من إسبانيا، لكن يجبر قرطاجة على توزيع جهودها بين المنطقتين (إسبانيا
وإيطاليا) بالرجال والعتاد.

(18) أخيرا يمكننا الإشارة إلى الجهود الإصلاحية التي باشرها "حنبل" بعد زاما في محاولة أخيرة منه
لإعادة بناء قرطاجة، لكن الوشاة جعلوا من تلك "الإصلاحات" إخلال بالمعاهدة، فأضطر حنبعل إلى
اللجوء إلى "المنفى" الاضطراري شأنه شأن سكيبيو، ومن سوء الأقدار أو حسنه، إن القائدين توفيا في سنة
واحدة هي 183 ق.م وبعيدا عن الديار والوطن.

بيبليوغرافيا:

أولا: المصادر:

1.المصادر باللغة الأجنبية:

- Cornelius Nepos, 1841, Amilcar, traduction de M.Kermoyson, édition Nisard, Paris.
- Plutarque, 1951, Vies des hommes illustres, traduit par, Gérére Walter, éd. Gallimard, Paris.

- Silius Italicus, 1836-1838, Les puniques (3 Volumes), traduit par E.F, corpet, et N.A du bois, éd. Panckoucke, Paris.
- Titus livius, 1930, histoire Romaine, traduit par verger, éd, panckoucke, Paris.
- Justin, (Marcus Junianus), Histoires universelles, tra. Par jules pierrot, éditions. C.L.F.
- Polybius, Histoire Romaine, 1970, traduit par denis Roussel, éd. Gallimard, Paris.

ثانيا: - المراجع:

(1) المؤلفات (الكتب) باللغة العربية:

أ) المؤلفات العربية:

- ول وايريل ديورانت، 1995، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، بيروت.
- حارش (محمد الهادي)، 1995، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري (منذ فجر التاريخ على الفتح الإسلامي)، المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر.
- جورج مصروعة، 1959، هانيبال، الجزائر، مطابع سيما، بيروت.
- محمد (الصغير غانم)، 2003، معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (الجزائر).

المراجع الأجنبية:

- warmington (G.H), 1961, Histoire et civilization de ca rtbage, trad, S.M Guelmin, éd. Payot, Paris.
- Audision (G), 1961, Hannibal, éd. Berger-, Levrault, Paris.
- Gilbert- Charles (Picard), 1960, Hannibal, librairie Hachette, Paris.
- Gsell (ST), 1913, histoire ancienne de l'Afrique du Nord (8 volumes) éd. Hachette, Paris.
- Maria (Guilia), 2007, Carthage et Rome, éd. P.U.F, Paris.
- M.Tarredell, 1960, maeculas, punico.
- Violaire vanoyeke, 1961, Hannibal, éd, France empire, Paris.

(2) الدوريات (المقالات)

أ) باللغة العربية:

- شنيّتي (محمد البشير)، 1994، "جوانب من علاقة الدولة القرطاجية بالمغاربة المحتوى الوطني لثورة المأجورين ثورة الجند المأجور" مجلة التاريخ، "ثورة الجند المأجور"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 21 (جوان) ص. 119-219.
- عقون (العربي)، 2004، "ثورة جند المأجور" مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، (الجزائر)، عدد 21، ص. 199-212.